أسرار التشابه اللفظي في تفسير الشيخ الشعراوي المتعلقة باالإفراد والجمع (دراسة وصفية تحليلية)

The secrets of verbal similarity in the interpretation of Sheikh Al-Shaarawi related to singling and plurals (A descriptive analytical study)

Abdullah
PhD student in the Department of Tafseer and Quranic Sciences
International Islamic University, Islamabad
Email: Abuyasir1012@gmail.com
Dr. Shakeel Ahmad
Lecturer Allama Iqbal Open University Islamabad

ABSTRACT
This study deals with an aspect of rhetoric in the Qur'anic systems. This aspect is represented in explaining the secret of the Holy Qur'an's use of word forms, singular or plural, within the framework of systems and what these formulas suggest of meanings and rhetorical secrets within a specific context.
In the Qur'anic systems there are expressions that are associated with the singular or the plural, and are not found in another form, and other words in which the Qur'anic system is modified from one form to another, for a rhetorical purpose that seeks to achieve it. He puts the words in the plural form without other forms, varied in styles and modifies the forms according to what is required by the meaning and the context of speech, and whoever looks closely at the Qur'anic systems discovers accuracy in choosing the forms of words so that if they were replaced by others, the systems would be disturbed and the meaning would differ.
Keywords: secrets, similarity, verbal, singular, plural, systems, the Holy Quran

ملخّص البحث:

تتناول هذه الدراسة مظهراً من مظاهر البلاغة في النظم القرآني، يتمثل هذا المظهر في بيان سرّ استخدام القرآن الكريم لصيغ الألفاظ، مفردةً أو جمعاً؛وذلك في إطار النظم وما توحي به هذه الصيغ من المعاني والأسرار البلاغية ضمن سياق معين.

ففي النظم القرآني هناك ألفاظ لازمت الإفراد أو الجمع،ولم ترد في صيغة أخرى، وألفاظ أخرى عدل فيها النظم القرآني عن صيغة إلى أخرى، لغرضٍ بلاغيٍّ يسعى إلى تحقيقه، فقد يؤْثِر النظم القرآني الواحد على الجمع وتكون هذه من ب وضع المفرد موضع الجمع،أو يضع الألفاظ بصيغة الجمع دون غيرها من الصيغ، منوعاً في الأساليب ومعدِّلاً في الصيغ حسب ما يقتضيه المعنى وسياق الكلام، ومن يمعن النظر في النظم القرآني يكتشف الدقة في اختيار صيغ الألفاظ بحيث لو استبدلت بغيرها لاختل النظم واختلف المعنى.

الكلمات المفتاحية: أسرار،التشابه،اللفظي، مفرد،جمع، النظم، القرآن الكريم

المقدمة

الحمد لله الذي علم لقلم و أنزل كتابه في أبلغ الجمل،والصلاة والسلام على أشرف أنبياء والمرسلين،ومن تبعهم إلى يوم الدين.وبعد

إن الفرقان الحميد هو كتاب المعجز للخلق في أسلوبه وبلاغته ونظمه،المعجز في حكمه وعلومه وفي ثير هدايته.

وموضوع الإفراد والجمع من أهم موضوعات علم المعاني ويبحث فى سبك الألفاظ والعبارات والجمل؛ليبيّن ما فيها من أسرار ومزا بلاغية، والقرآن الكريم خير مورد وزاد في ذلك؛ لما يحتويه من غزارة اللفظ وتعدد المعنى، بل إنه شغل العالم منذ نزوله فتسابق العلماء إلى البحث في ألفاظه وأساليبه واستخراج أسراره ودرره.

وقد عكف العلماء على دراسة كل ما يتعلق بكتاب عزوجل،ومن ذلك قضية المتشابه اللفظي،وبعد النظر والاستقراء تبين أن تفسير الشيخ الشعراوي من التفاسير التي ركزت على هذه القضية،ومن هنا جاء عنوان الموضوع ''أسرار التشابه اللفظي في تفسير الشيخ الشعراوي المتعلقة لإفراد والجمع''دراسة وصفية تحليلية.ويتناول هذا البحث الكشفَ عن مفهوم المتشابه اللفظي،وأهمية المتشابه اللفظي، وفوائده،وأسراره وأهم مؤلفاته،كما يدرس هذا الموضوع من خلال تفسير الشيخ الشعراوي الذي يعتبر من أجل التفاسير المعاصرة، ومما ينفرد أيضا الشيخ الشعراوي أنه يستدل في تفسيره بدلالة السياق القرآني عند تناول قضية التشابه اللفظي.

يشتمل البحث على مقدمة و تمهيد و مباحثين وخاتمة.

والمقدمة تبين أهمية الموضوع واهتمام الشيخ الشعراوي في ب التشابه اللفظي والتمهيد يسلّط الأضواء على المؤلِّف والمؤلَّف،المبحث الأول يتناول تعريف الإفراد والجمع،تعريف التشابه اللفظي، وأهميته، وفوائده،وأسراره،وأهم مؤلفاته

ترجمة الشيخ الشعراوي

أولاً: **مولده ونسبه**

الميلاد: ولد الشيخ محمد متولي الشعراوي بقرية دقادوس([1]) مركز ميت غمر محافظة الدقهلية في الخامس عشر من أبريل سنة إحدى عشر وتسعمائة وألف ميلادية بمنزل والده بحارة الشيخ عبد الأنصاري.

مؤلفاته:

لم يعرف للشيخ الشعراوي مؤلف كتبه بيده، وجميع ما يتداول من كتب تحمل اسمه إنما هي في الحقيقة مأخوذة من سلسلة محاضراته ودروسه خلال مسيرته العلمية، قامت دور النشر بنشرها. وعليه فإن العديد من تلك المؤلفات لم يطلع عليه الشيخ الشعراوي ولا أذن بطبعه، وصارت العديد من المؤلفات تنسب إلى الشيخ وتعتمد كونها صحيحة النسبة إليه.ومن أبرز المؤلفات تفسير الشعراوي،معجزة القرآن وغيرذلك.

وكانت وفاته الشيخ الشعراوي-رحمه - في الساعة الثالثة والنصف قبل فجر يوم الأربعاء الثاني والعشرين من صفر1419هجري، الموافق للسابع عشر من شهر جون1998ميلادي. عن عمر يناهز سبعة وثمانين عاما.

التعريف بالمؤلَف ''تفسير الشيخ الشعراوي''.

أسلوب الشعراوي وطريقته في التفسير

أولا:- اعتمد الشعراوي في تفسيره على الترتيب المعتاد للسور والآ ت حسب ترتيب المصحف، ابتداء بسورة الفاتحة على طريقة عامة أهل التفسير، وإن كان في كثير من الأحيان يستطرد في عرض بعض القضا ويستشهد ت ليس المراد تفسيرها، كما يغلب على تفسيره التكرار، فكثيرا ما يعيد تفسير الآ ت في مواضع مختلفة كلما دعت المناسبة إلى ذلك.

نيا:- كثيرا ما يقطع الآية إلى مفردات، ويكتفي بشرح تلك المفردات التي تؤدي لجلاء المعنى وظهوره.

لثا:- قد يذكر مناسبة الآية لما قبلها، دون أن يغفل ذكر التناسب بين سور القرآن.

رابعا:- يبدأ الشعراوي تفسيره لآية الباب، ثم يجزئها إلى مقاطع.

خامسا:- كثيرا ما يبدأ تفسيره للآية بمسائل نحوية أو قضا لغوية أو بلاغية.

سادسا: غالبا ما نجده يتوقف عند مفردة ليشرحها، وربما يستطرد في شرحها ويتوسع في ذكر المعاني اللغوية لها.

سابعا:- كما يتطرق أحيا إلى القراءات الواردة في الآية.

منا:- كما نجده ينبه إلى سبب نزول الآية المراد تفسيرها في الغالب، من ذلك إشارته إلى سبب نزول هذه الآية قبل الشروع في تفسيرها.

المبحث الأول:تعريف الإفراد والجمع،تعريف التشابه اللفظي، وأهميته، وفوائده،وأسراره،وأهم مؤلفاته

تعريف الإفراد والجمع لغةً

والفرد:الذي لا نظير له،والجمع أفراد،يقال شيءٌ فَرْدٌ وَفَرَدٌ وَفَرِدٌ وَفُرُدٌ وَفَارِدٌ.والمفرد:ثور الوحش.

المفرد: ثور الوحش شبه به الناقة،وثور فرد وفارد وفرَد وفريد وفرِدٌ كله بمعنى مفرد،وسدرة فاردة: انفردت عن سائر السدر([2])

نيًا: في الاصطلاح:

المفرد مادل على الواحد والجمع (ج م ع) ماجاءني إلا جمعية منهم،وكنت في مجمع من الناس،وهذا الكلام أولج في المسامع،وأجول في المجامع،ومعه جمع غيرجماع وهم الأشابه،قال أبوقيس ابن الاسلت([3])

ثم تجلت ولنا غاية...من بين جمع غير جماع

في الإصطلاح

الجمع:صيغة مبنية من الواحد للدلالة على العدد الزائد على الإثنين([4])

أهمية دراسة الإفراد والجمع

تعريف التشابه اللفظي لغةً وإصطلاحا

المتشابه لغة: قال أحمد بن محمد الفيومي: "واشتبهت الأمور وتشابهت: التبست فلم تتميز ولم تظهر، ومنه اشتبهت القبلة ونحوها، والشبهة في العقيدة المأخذ الملبس، سميت شبهة لأنها تُشبه الحق... وتشابهت الآ ت: تساوت أيضاً؛ فالمشابهة: المشاركة في معني من المعاني و"الاشْتِبَاهُ" الالتباسُ".([5])

قال الجوهري: "شِبْه وَشَبَه لغتان بمعنى... والمشتبهات من الأمور المشكلات، والمتشابهات المتماثلات".([6]) وقال الفيروز آ دي: "وشابهه وأشبهه: ماثله... وتشابها، واشتبها: أشبه كل منهما الآخر حتى التبسا... وأمور مشتبهة ومشبهة: مشكلة"([7])

المتشابه في الاصطلاح:

قال الزركشي: "هو إيراد القصة الواحدة في صور شتى وفواصل مختلفة، ويكثر في إيراد القصص والأنباء".([8]) وليس المراد الزركشي قصر المتشابه على القصص القرآني؛ لأنه جعله كثيراً فيه لا قاصراً عليه، والأمثلة التي مثل بها رحمه تدل على ذلك.

والخلاصة مما سبق أن تعريف المتشابه اللفظي اصطلاحاً: هو الآ ت القرآنية المتكررة بلفظها، أو مع اختلاف يسير في لفظها أو نظمها أو كليهما، مع تقارب المعنى لغرض ما.

أهمية التشابه اللفظي وفوائده

ترجع أهميته إلى أهمية نشأته، حيث أنه أنشئ حفاظاً على القرآن الكريم، من أن يقع اللحن في كلماته، وتيسيراً لِحِفَظَةِ كتاب ، وهو من علوم القرآن التي تخدمه وتحافظ عليه وتبرز كثيراً من وجوه إعجازه وأسراره التي لا تنفد.

نيًا:ترجع أهمية هذا العلم إلى موضوعه فهو ضرب من تفسير القرآن؛ لذلك فأهميته من أهمية علم التفسير، فعلم المتشابه اللفظي في القرآن الكريم قسم قائم بذاته، وهو من الأنواع التي اشتمل عليها القرآن في بيان أنه وحي، لا عمل للبشر فيه.

لثًا: أن علم المتشابه اللفظي يعين على تيسير حفظ القرآن الكريم وإتقانه، ولذلك صنف العلماء مؤلفات في المتشابه اللفظي لهذا الغرض تحديداً.

أهم المؤلفات في التشابه اللفظي

انقسم التصنيف في علم المتشابه اللفظي إلى اتجاهين:

الأول: جمع آ ت المتشابه اللفظي دون توجيه:

بدأ التصنيف في علم المتشابه اللفظي بجمع الآ ت المتشابهات دون التوجيه، وبيان سبب الاختلاف بين الموضعين، وكان من أوائل ما صُنّف في هذا الشأن كتاب (متشابه القرآن) لعليّ بن حمزة الكسائي في القرن الثاني الهجري، وقد صرح فيه بهدفه من ليفه قائلًا:"ليكون كتابنا هذا عوً للقارئ على قراءته، وتقوية على حفظه"([9]).

ولكن مع ظهور الطاعنين والقائلين لتكرار في النصّ القرآني ظهر الاتجاه الثاني من التصنيف في علم المتشابه اللفظي، وهو: الثاني: توجيه آ ت المتشابه اللفظي:

فقد ذكر الإمام الإسكافي –أوّلُ مَن صنّف كتاً مستقلًّا في توجيه المتشابه اللفظي– أنّ من أسباب ليفه لدرة التنزيل: «ولطعن الجاحدين ردًّا، ولمسلك الملحدين سدًّا»، وفي نهاية الكتاب يقول: "هذا آخر ما تكلّمنا عليه من الآ ت التي يقصد الملحدون التطرّق منها إلى عيبها".([10])

الموضع الأول

قوله تعالى:{وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَ حَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَاً ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} ([11]).

يقول الشيخ الشعراوي: "قلنا: إن الر ح إذا جاءت هكذا بصيغة الجمع دلَّتْ على الخير، وإنْ جاءتْ مفردة فهي آتية لشر، وإذا نظرتَ إلى الجبال العالية وإلى طحات السحاب تقول: ما الذي يقيم هذه المباني العالية، فلا تميل؟ الذي يسمكها هو الهواء الذي يحيط بها من كل حية، ولو فرَّغْتَ الهواء من أحد نواحيها تنهار فوراً.إذن: فالريح من هنا، ومن هنا، ومن هنا، فهي ر ح متعددة تُصلِح ولا تُفسِد، وتُحدِث هذا التوازن الذي نراه في الكون، أمّا الريح التي تي من حية واحدة فهي مدمرة مهكلة، كما جاء في قوله تعالى:{بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ}([12]) ".([13])

تحليل ومناقشة

حاصل كلام الشيخ الشعراوي–رحمه –والفرق واضح جدًا، بحيث إن القرآن الكريم استخدم صيغة جمع الر ح في جانب الرحمة وصيغة مفرد ريح في جانب العذاب والسبب واضح.

والشيخ الشعراوي بذلك يتفق مع ما قاله الإمام الزركشى-رحمه - حيث قال: "ذكر الر ح في القرآن جمعا ومفردة فحيث ذكرت في سياق الرحمة جاءت مجموعة كقوله تعالى { الذي يرسل الر ح فتثير سحا }،{وأرسلنا الر ح لواقح}،{ومن آ ته أن يرسل الر ح مبشرات} وحيث ذكرت في سياق العذاب أتت مفردة كقوله تعالى {فأرسلنا عليهم ريحا صرصرا في أ م نحسات}،{فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها}،{وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية}{مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح}،{وفي عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم} ولهذا قال صلى عليه وسلم: "اللهم اجعلها ر حا ولا تجعلها ريحا" والمعنى فيه أن ر ح الرحمة مختلفة".([14])ووافقه أبوحيان،و السامرائي - رحمها -([15])

الموضع الثاني

قوله تعالى:{وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ}([16]).

يقول الشيخ الشعراوي: "وكلمة «مَنْ» تطلق وقد يراد بها المفرد، وقد يراد بها المفردة، وقد يراد بها المثنى، وقد يراد بها الجمع، ومرة يطابق اللفظ فيقول سبحانه:{وَمِنْهُمْ مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ}([17]).

ومرة يقصد المعنى فيقول:{وَمِنْهُمْ مَّن يَسْتَمِعُونَ}([18])؛لأن {مَّن} صالحة للموقعين"([19]).

تحليل ومناقشة

بين الشيخ الشعراوي أن لفظة "من" مفردة ومعناها قد يراد به الإفراد وقد يراد به المثنى وقد يراد به الجمع وهذا ما فصله العلماء حيث يقول الخطيب الإسكافي-رحمه -: "فلما كانت (مَنْ) تصلح للواحد فما فوقه، ويجوز أن يعود الضمير إلى لفظه، وهو لفظ الواحد وإلى معناه، وهو ما يراد به من الواحد أو الاثنين أو الثلاثة، واختلف هاذان المكا ن في القلة والكثرة؛ فحملت في موضع القلة على حكم اللفظ، وعاد الضمير إليها بلفظ الواحد، فقال:{وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ} وفي موضع الكثرة على حكم المعنى، وعاد الضمير إليها بلفظ الجمع، فقال:{وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ}؛ ليفاد لاختلاف هذا المعنى، فلم يصبح في كل مكان إلا اللفظ الذي خصه مع القصد الذي ذكرت".([20])

ويقول الكرماني-رحمه -: "لأن ما في هذه السورة- الأنعام- نزل في أبي سفيان، والنضر بن الحارث، وعتبة، وشيبة، وأمية وأبي ابني خلف، فلم يكثروا كثرة من في يونس؛ لأن المراد

بهم في يونس جميع الكفار، فحمل ههنا مرة على لفظ (من)؛ فوحد لقلتهم، ومرة على المعنى فجمع؛ لأنهم- وإن قلوا- كانوا جماعة، وجمع ما في يونس ليوافق اللفظ المعنى".([21])

الموضع الثالث

قوله تعالى:{قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ}([22]).

يقول الشيخ الشعراوي: "يقول الحق سبحانه وتعالى في هذه الآية: {قُلْنَا اهبطوا مِنْهَا جَمِيعاً} وفي سورة طه يقول جل جلاله {قَالَ اهبطا مِنْهَا جَمِيعاً} عندما خاطب سبحانه وتعالى بصورة الجمع. كان الخطاب لكل ذرية آدم المطمورة في ظهره. أمراً لهم جميعا لهبوط. آدم وحواء والذرية. لأن كل واحد منا. إلى أن تقوم الساعة فيه جزيء من آدم. ولذلك لابد أن نلتفت إلى قول الحق تبارك وتعالى:{وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا للملائكة اسجدوا لأَدَمَ}([23]).

نلاحظ هنا أن الخطاب بصيغة الجمع، فلم يقل الحق سبحانه وتعالى لقد خلقتك ثم صورتك ثم قلت للملائكة اسجدوا لآدم، فكأن الحق سبحانه وتعالى يريد أن يلفتنا إلى أنه ساعة الخلق كان كل ذرية آدم مطمورين في ظهره. خلقهم جميعا ثم صورهم جميعا. ثم طلب من الملائكة السجود لآدم. فهل نحن كنا موجودين؟ نعم كنا موجودين في آدم. ولذلك فإن الحق سبحانه وتعالى يقول: «اهبطوا» لنعرف أن هذا الخطاب موجه إلى آدم وذريته جميعا إلى يوم القيامة.ومرة يقول:{اهبطا مِنْهَا جَمِيعاً} لأن هنا بداية تحمل المسئولية لنسبة لآدم. في هذه اللحظة وهي لحظة الهبوط في الأرض. سيبدأ منهج مهمته في الحياة. ومادام هناك منهج وتطبيق فردي. تكون المسئولية فردية. ولا تي الجمع هنا.فالحق سبحانه وتعالى يقول:{اهبطا مِنْهَا جَمِيعاً} نلاحظ أن أمر الهبوط هنا لمثنى. ثم يقول تبارك وتعالى جميعا. . جمع. . نقول أنه مادامت بداية التكليف. فهناك طرفان سيواجه بعضهما البعض. الطرف الأول. هو آدم وزوجه. والطرف الثاني هو إبليس. فهم ثلاثة ولكنهم في معركة الإيمان. فريقان فقط. آدم وحواء وذريتهما فريق. والشيطان فريق آخر. فكأن تعالى يريد أن يلفتنا إلى أن هذا الهبوط يتعلق لمنهج وتطبيقه في الأرض. وفي المنهج آدم وحواء حريصان على الطاعة. وإبليس حريص على أن يقودهما إلى المعصية"([24]).

وقوله:{اهبطا}([25]) بصيغة التثنية أمر لاثنين: آدم مطمور فيه ذريته، وإبليس مطمور فيه ذريته، فقوله:{اهبطا} إشارة إلى الأصل، وقوله في موضع آخر: {اهبطوا}([26]) إشارة إلى ما يتفرّع عن هذا الأصل"([27]).

تحليل ومناقشة

حاصل كلام الشيخ الشعراوي أن اختلاف التعبير لوجود اعتبارات مختلفة ولذا وُجد الاختلاف بين التثنية والجمع.

وقد أورد العلماء أوجها أخرى ومن ذلك يقول المطعني –رحمه –"أن الأمر ب " الهبوط "جاء بصيغة الجمع في البقرة والأعراف لأن المخاطب ثلاثة: آدم وزوجه وإبليس. وجاء بصيغة التثنية في طه. ولعل سره أن المأمور لهبوط فريقان: آدم وزوجه فريق، وإبليس فريق آخر."([28]) ويقول أبوالسعود–رحمه –:"وقلنا اهبطوا الخطاب لآدم وحواء عليهما السلام بدليل قوله تعالى اهبطا منها جميعا وجمع الضمير لأنهما أصل الجنس فكأنهما الجنس كلهم وقيل لهما وللحية وابليس".([29])

فقيل: قال له ولزوجته اهبطا منها جميعا أي انزلا من الجنة إلى الأرض وقوله تعالى بعضكم لبعض عدو حال من ضمير المخاطب في اهبطا والجمع لما أنهما أصل الذرية".([30])

يقول الزمخشري –رحمه –"قيل (اهبطوا)خطاب لآدم وحواء وإبليس وقيل والحية والصحيح أنه لآدم وحواء والمراد هما وذريتهما لأنهما لما كا أصل الإنس ومتشعبهم جعلا كأنهما الإنس كلهم والدليل عليه قوله{قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ}([31]) ويدل على ذلك قوله (فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون)".([32]) ووافقه الألوسي–رحمه –([33])

الموضع الرابع

قوله تعالى:{فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ}([34]).

يقول الشيخ الشعراوي:"{فَأَنْجَاهُ مِنَ النار إِنَّ فِي ذلك لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ}([35]) ونذكر في قصة السفينة أن تعالى قال عنها: {وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ}([36]) آية وهنا قال {لآيَاتٍ ... }

قال في السفينة {آيَةً ... }([37])؛ لأن العجيب في أمر السفينة ليس في صناعتها، فمَنَ رآها يمكن أنْ يصنع مثلها، إنما الآية فيها أن تعالى أعلمه بها قبل الحاجة إليها، ثم منع عنها الزوابع والأعاصير أن تلعب بها وتُغرق ركابها.

أمّا في مسألة الإحراق فعجائب كثيرة وآ ت شتى، فكان من الممكن ألاَّ يمكنهم منه، وكان من الممكن بعد أن أمسكوا به وألقوه في النار أنْ يُنزل مطراً يطفيء رهم وينجو إبراهيم، أو يسخر له من القوم أهل رأفة ورحمة ينقذونه من الإلقاء في النار.

لكن لم يحدث شيء من هذا، حيث أمكنهم منه حتى ألقوه في النار وهي مشتعلة، وهو مُوثق لحبال، ومع ذلك لم تُصِبه النار بسوء، وظهرتْ الآ ت بينات واضحات أمام أعين الجميع"([38]).

تحليل ومناقشة

بين الشيخ الشعراوي أن الإفراد عتبار أن في السفينة آية واحدة أما في الإحراق فهناك عجائب أخرى أوضحها، وقد أورد الأئمة بعض الأوجه الأخرى حيث يقول ابن عاشور– رحمه "وقوله{وجعلناها آية للعالمين} الضمير للسفينة . ومعنى كونها آية أنها دليل على وقوع الطوفان عذا ً من للمكذبين الرسل ، فكانت السفينة آية ماثلة في عصور جميع الأمم الذين جاءتهم الرسل بعد نوح موعظة للمكذبين وحجة للمؤمنين".([39])

ويقول ابن عاشور أيضا"والإشارة (ب) ذلك (إلى الإنجاء المأخوذ من) فأنجاه من النار (وجعل ذلك الإنجاء آ ت ولم يجعل آية واحدة لأنه آية لكل من شهده من قومه ولأنه يدل على قدرة ،وكرامة رسوله،وتصديق وعده،وإهانة عدوه،وأن المخلوقات كلها جليلها وحقيرها مسخرة لقدرة تعالى".([40])

ويقول الفخرالرازي–رحمه –"قال في إنجاء نوح وأصحاب السفينة جعلناها آية([41])وقال هاهنا لآ ت لجمع لأن الإنجاء لسفينة شيء تتسع له العقول فلم يكن فيه من الآية إلا بسبب إعلام إ ه لاتخاذ وقت الحاجة، فإنه لولاه لما اتخذه لعدم حصول علمه بما في الغيب، وبسبب أن صان السفينة عن المهلكات كالر ح العاصفة، وأما الإنجاء من النار فعجيب فقال فيه آ ت".([42])

الموضع الخامس

قوله تعالى: {ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا آخَرِينَ}([43]).

يقول الشيخ الشعراوي: "قبل عدة آ ت قال الحق تبارك وتعالى: {ثُمَّ أَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ}([44]) فجاءتْ قرنًا بصيغة المفرد؛ لأن الحديث مقصور على عاد قوم هود، أما هنا فقال تعالى: {ثُمَّ أَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قُرُونًا..}؛لأن الكلام سيأتي عن أمم ورسالات مختلفة ومتعددة، فجاءت (قرونً) بصيغة الجمع، متتابعة أو متعاصرة، كما تعاصر إبراهيم ولوط، وكما تعاصر موسى وشعيب عليهم وعلى نبينا الصلاة والسلام"([45]).

تحليل ومناقشة

حاصل كلام الشيخ الشعراوي–رحمه – أن الاختلاف هنا بسبب الإختلاف في السياق والزمن.حيث أن القرن إنما هو لقوم هود أما القرون فلأمم الآتي ذكرهم. وقد اتفق الشيخ الشعراوي في هذا الوجه مع الإمام الزمخشري([46])،وأبوالسعود–رحمهما .([47])

الموضع السابع

قوله تعالى: {إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى}([48]).

يقول الشيخ الشعراوي: "فساعة أنْ كلَّمه ربه: {إني أَنَا رَبُّكَ} أزال ما في نفسه من العجب والدهشة لما رآه وسمعه، وعلم أنها من تعالى فاطمأنَّ واستبشر أنْ يرى عجائب أخرى؟

ونلحظ في قوله تعالى: {إني أَنَا رَبُّكَ} أن الحق تبارك وتعالى حينما يتحدَّث عن ذاته تعالى يتحدث بضمير المفرد {إني أَنَا رَبُّكَ} وحينما يتحدث عن فِعْله يتحدث بصيغة الجمع، كما في قوله عَزَّ وَجَلَّ: {إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ القدر}([49]) {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذكر}([50]) {إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الأرض وَمَنْ عَلَيْهَا}([51]).

فلماذا تكلَّم عن الفعل بصيغة الجمع، في حين يدعو إلى توحيده وعدم الإشراك به؟ قالوا: الكلام عن ذاته تعالى لا بُدَّ فيه من التوحيد، كما في: {إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي }([52]).لكن في الفعل يتكلم بصيغة الجمع؛ لأن الفعل يحتاج إلى صفات متعددة وإمكا ت شتَّى، يحتاج إلى إرادة تريده، وقدرة على تنفيذه وإمكا ت وعلم وحكمة.

إذن: كل صفات الحق تتكاتف في الفعل؛ لذلك جاء الحديث عنه بصيغة الجمع، ويقولون في النون في قوله: {نَزَّلْنَا الذكر} {نَرِثُ الأرض} أنها: نون التعظيم".([53])

تحليل ومناقشة

بين الشيخ الشعراوي أن الإفراد إنما يكون في حديث الحق سبحانه وتعالى عن ذاته فهى دعوة إلى التوحيد وعدم الإشراك أما الفعل فيأتي بصيغة الجمع لأنه يحتاج إلى عدة صفات.

الموضع الثامن

قوله تعالى:{إِنَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا }([54]).

يقول الشيخ الشعراوي: "ونعلم أن الحق حينما يتكلم، تي بضمير التكلم. وضمير التكلم له ثلاثة أوجه، فهو يقول مرة: «إ » ومرة نية: «إنني» و لثة يخاطب خلقه بقوله: «نحن» . وهنا يقول: {إِنَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ} . ونشاهد في موقع آخر من القرآن الكريم قوله الحق: {إنني أَ لا إله إلا أَ}([55]).

وفي موضع لث يقول: {إِنَّ نَحْنُ نَزَّلْنَا الذكر وَإِنَّ لَهُ لَحَافِظُونَ}([56])؛لأن الذكر يحتاج إلى صفات كثيرة ومتنوعة تتكاتف لتنزيل الذكر وحفظه. وحين يخاطب خلقه يخاطبهم بما يُجلي مواقع الصفات من الكون الذي نعيش فيه.

وساعة يكون العمل مُتطلباً لمجالات صفات متعددة من صفات الحق، يقول سبحانه: «إنَّ» أو «نحن» . وعندما تي الحديث عن ذات الحق سبحانه وتعالى يقول: «إني أ » . ولا تي في هذه الحالة «إنَّ» ولا تي «نحن» .

والحق هنا يقول:{إِنَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ} أي أنه أوحى بمنهج ليصير الإنسان سيداً في الكون، يصون نفسه والكون معاً، وصيانة الكائن والكون تقتضي علماً وحكمة وقدرة ورحمة؛ لذلك فالوحي يحتاج إلى صفات كثيرة.

قوله تعالى:{أَلَمْ تَرَ أَنَّ أنزَلَ مِنَ السمآء مَآءً}.وليس لأحد من خلقه أي دخل في هذا؛ لأن الماء إنما يتبخر دون أن يدري الإنسان، ولم يعرف ذلك إلا منذ قرون قليلة.و تي من بعد

ذلك إنصاف الحق للخلق، فيقول: {فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفاً أَلْوَانُهَا}.ولم يقل: «فأخرجت». بل أنصف الحق خلقه وهم المتحركون في نعمه لعقول التي خلقها لهم، فسبحانه يقدر عمل الخلق من حرث وبذر وري وذلك حتى يخرج الثمر.إذن الأسلوب القرآني حين تي ب «إني» يشير إلى وحدة الذات، وحين تي ب «إنَّ» يشير إلى تجمع صفات الكمال؛ لأن كل فعل من أفعال يقتضي حشداً من الصفات علماً وإرادة... ؛ لذلك لا بد من ضمير التعظيم الذي يقول فيه النحويون: إن «نحن» و «ن» للمعظم نفسه.وقد عظم الحق نفسه؛ لأن الأمر هنا حشد صفات يتطلبها إيجاد الكون والقيام على أمر الكون. ولذلك نجد بعض العارفين الذي لمحوا جلال في ذاته وجماله في صفاته يقولون:

فسبحان رب فوق كل مظنة ... تعالى جلالاً أن يُحاط بذاته

إذا قال «إني» ذاك وحدة قدسه ... وإن قال «إنَّ» ذاك حشد صفاته

وعندما ننظر إلى هذه المسألة، نجد أن الحق سبحانه وتعالى أنصف خلقه لعلهم يعرفونه، فجعل لهم إيجاد أشياء وخلق أشياء. وحين يتعرض سبحانه لأمر يكون له فيه فعل ويكون لمن أقدره سبحانه من خلقه فيه فعل، فهو تي بنون التعظيم لأنه – سبحانه – هو الذي أمدهم بهذه القدرات"([57]).

تحليل ومناقشة

وقد لخص الإمام الشيخ الشعراوي–رحمه – في إتيان الصيغة المفردة أحياً والجمع حينا آخر لأجل الفرق بين الأفعال إذا كان الفعل يقتضي التوحيد فيأتي بصيغة مفردة،وإذا كان الفعل يحتاج إلى تكامل وتكانف استخدم صيغة الجمع وهذا هو طريق الملوك والأمراء أنهم قلّما يستخدمون صيغة المفرد للإشارة إلى التعظيم.كما مر سابقًا.

الموضع التاسع

قوله تعالى:{وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ}([58]).

يقول الشيخ الشعراوي:"يقول تعالى في موضع آخر:{أَوِ الطفل الذين لَمْ يَظْهَرُواْ على عَوْرَاتِ النسآء}([59]) وجاء لطفل بصيغة المفرد؛ لأن الأطفال في هذه السِّنّ لم تتكوّن لديهم الغريزة،

وليست لهم هذه الميول أو المآرب، فكأنهم واحد، أمّا بعد البلوغ وتكوُّن الميول الغريزية قال: {الأطفال}([60])؛ لأن لكل منهم بعد البلوغ ميوله وشخصيته وشطحاته"([61]).

وقوله تعالى:{ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً. .}([62]) قال: {نُخْرِجُكُمْ. .}بصيغة الجمع ولم يقُلْ: أطفالاً إنما {طِفْلاً. .}بصيغة المفرد، لماذا؟ قالوا: في اللغة ألفاظ يستوي فيها المفرد والجمع، فطفل هنا بمعنى أطفال، وقد وردتْ أطفال في موضع آخر في قوله سبحانه:{وَإِذَا بَلَغَ الأطفال مِنكُمُ الحلم. .}.

وكما تقول هذا رجل عَدْل، ورجال عَدْل. وفي قصة سيد إبراهيم – عليه السلام – يتكلم عن الأصنام فيقول: {فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي. .}([63]) ولم يقُلْ: أعداء. وحينما تكلم عن ضَيْفه قال: {هَؤُلآءِ ضَيْفِي. .}([64]) ولم يقل: ضيوفي، إذن: المفرد هنا يُؤدِّي معنى الجمع"([65]).

تحليل ومناقشة

حاصل كلام الشيخ الشعراوي–رحمه – استخدم القرآن الكريم كلمة"الطفل" مفردًا للإشارة إلى أن الأطفال يكون سواء في النزاهة والميول المشتركة،ولذا استخدمت كلمة طفل مفردةٌ، وأما إذا كان المراد بعد البلوغ استخدمت كلمة "الأطفال" للإشارة إلى ميولهم الشخصية بعد البلوغ؛إذ لكل شخص شخصية وميوله سلبًا وإيجاً ،فسبحان من راعى بهذه الدقة الفائقة.

وقد أورد العلماء أوجها أخرى ومن ذلك يقول الشوكاني – رحمه – "ثم نخرجكم طفلا أي:نخرجكم من بطون أمهاتكم طفلا، أي: أطفالا، وإنما أفرده إرادة للجنس الشامل للواحد والمتعدد. قال الزجاج: طفلا في معنى أطفالا، ودل عليه ذكر الجماعة يعني في نخرجكم، والعرب كثيرا ما تطلق اسم الواحد على الجماعة، ومنه قول الشاعر: يلحينني من حبها ويلمنني ... إن العواذل لسن لي مير

وقال –رحمه –:"الطفل: يطلق على المفرد والمثنى والمجموع، أو المراد به هنا الجنس الموضوع موضع الجمع بدلالة وصفه بوصف الجمع، وفي مصحف أبي «أو الأطفال» على الجمع، يقال للإنسان طفل: ما لم يراهق الحلم".([66])

ويقول الفخر الرازي–رحمه –"الطفل اسم للواحد لكنه وضع ههنا موضع الجمع لأنه يفيد الجنس ويبين ما بعده أنه يراد به الجمع ونظيره قوله تعالى:{ ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً}([67])وإنما وحد الطفل لأن الغرض الدلالة على الجنس ".([68])

الموضع العاشر

قوله تعالى:{وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ}([69]).

يقول الشيخ الشعراوي: "وحين نتأمل هذه المسألة نجد أن القرآن عرضها مرة بصيغة الإفراد، فقال:{وَإِذَا مَسَّ الإنسان ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيباً ....}([70]).

وقال: {وَإِذَا مَسَّ الإنسان الضر دَعَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِداً أَوْ قَآئِماً فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إلى ضُرٍّ مَّسَّهُ...}([71]).

لكن الكلام عن الإنسان المفرد لا يكفي لإثبات الظاهرة؛ لأن الإنسان الواحد يمكن أن يستذل أمام ربه، ويعود إليه بعد أنْ تجرَّأ على معصيته، يكون ذلك بينه وبين نفسه، فلا يفضح نفسه أمام الناس، فأراد سبحانه أنْ يثبت هذه المسألة عند الناس جميعاً؛ ليفضح بعضهم بعضاً، فذكر هنا {وَإِذَا مَسَّ الناس ضُرٌّ دَعَوْاْ رَبَّهُمْ مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ... }([72]). وفي آية أخرى: {فَإِذَا رَكِبُواْ فِي الفلك دَعَوُاْ مُخْلِصِينَ لَهُ الدين فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى البر إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ}([73]).

فجاء بصيغة الجمع ليفضح الكافرين بعضهم أمام بعض، وقد يكون في هؤلاء الداعين مَنْ كان يُؤلّبهم على ، ويصرفهم عن الإيمان به، وها هو الآن يدعو ويتضرع، وحين يُفتضح أمرهم يكون ذلك أَدْعى لاستقامتهم وأدعى ألاَّ يتكبر أحد على أحد.

لذلك قلنا في ميزات الصلاة أنها تُسوِّي بين الناس، فيجلس الرجل العادي بجوار مَنْ لم يكُن يُؤْمَل أنْ يجلس بجواره، ويجده خاضعاً معه مطاوعاً للإمام. . الخ ففي الصلاة، الجميع سواء، والجميع منتفع بهذه المساواة، آخذ منها عبرة، فلا يتكبر بعدها أحد على أحد".([74])

تحليل ومناقشة

حاصل كلام الشيخ الشعراوي أن الاختلاف لأجل تنوع السياق والمقام؛لأن صيغة الجمع لإفضاح الكفار أمام الناس وصيغة المفرد جاءت عتبار كل واحد.

وقد أورد العلماء أوجها أخرى ومن ذلك يقول الفخر الرازي-رحمه -:"اختلفوا في الإنسَانَ في قوله:{وَإِذَا مَسَّ الإنسَانَ الضُّرُّ} فقال بعضهم إنه الكافر ومنهم من لغ وقال كل موضع في القرآن ورد فيه ذكر الإنسان فالمراد هو الكافر وهذا طل؛ لأن قوله:{فَوَقَاهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ يَوْمَئِذٍ....}([75]) لا شبهة في أن المؤمن داخل فيه وكذلك قوله: {هَلْ أَتَى عَلَى الإنسَانِ... }([76])وقوله:{وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإنْسَانَ مِن سُلَالَةٍ مّن طِينٍ}([77])،وقوله: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ}([78]) فالذي قالوه بعيد بل الحق أن نقول اللفظ المفرد المحلى لألف واللام حكمه أنه إذا حصل هناك معهود سابق انصرف إليه وإن لم يحصل هناك معهود سابق وجب حمله على الاستغراق صو ً له عن الإجمال والتعطيل ولفظ الإنسَانَ ههنا لائق لكافر لأن العمل المذكور لا يليق لمسلم البتة".([79])

الموضع الخامس عشر

قوله تعالى:{وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْ َهُمْ سَعِيرًا}([80]).

يقول الشيخ الشعراوي: "نعود إلى {مَن} في قوله تعالى:{وَمَن يَهْدِ فَهُوَ المهتد. .}([81])

قلنا: إن (مَن) اسم موصول بمعنى الذي، واستخدام (مَن) كاسم موصول لا يقتصر على (الذي) فقط، بل تستخدم لجميع الأسماء الموصولة: الذي، التي، اللذان، اللتان، الذين، اللاتي. فتقول: مَنْ جاءك فأكرِمْه، ومَنْ جاءتك فأكرِمْها، ومَنْ جاءاك فأكرمهم، ومَنْ جاء ك فأكرمهما، ومَنْ جاءوك فأكرمهم، ومَنْ جِئْنَكَ فأكرِمْهُن.

فهذه ستة أساليب تؤديها (مَن) فهي إذن صالحة للمذكّر وللمؤنّث وللمفرد وللمثنى وللجمع، وعليك أن تلاحظ (مَنْ) في الآية:{وَمَن يَهْدِ فَهُوَ المهتد. .}جاءت (مَنْ) دالّة على المفرد المذكر، وهي في نفس الوقت دالّة على المثنى والجمع المذكر والمؤنث، فنقول: مَنْ يهدِهَا فهي المهتدية، ومَنْ يهدهم فهم المهتدون. وهكذا.

ونسأل: لماذا جاءت (مَنْ) دالة على المفرد المذكر لذات دون غيره في مجال الهدى، أما في الضلال فجاءتْ (مَنْ) دالة على الجمع المذكر؟ نقول:لأنه لاحظ لفظ (من) فأفرد الأولى، ولاحظ ما تطلق عليه (من) فجمع الثانية:{وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِ. .}

وهنا مَلْحظ دقيق يجب تدبُّره: في الاهتداء جاء الأسلوب بصيغة المفرد:{وَمَن يَهْدِ فَهُوَ المهتد. }؛لأن للاهتداء سبيلاً واحداً لا غير، هو منهج تعالى وصراطه المستقيم، فللهداية طريق واحد أوضحه رسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقوله: «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به».([82])

أما في الضلال، فجاء الأسلوب بصيغة الجمع:{فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ. }([83]) ؛لأن طرق الضلال متعددة ومناهجه مختلفة، فللضلال ألف طريق، وهذا واضح في قول الحق سبحانه:{وَأَنَّ هذا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فاتبعوه وَلاَ تَتَّبِعُواْ السبل فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ. }([84]) إذن: الهداية طريق واحد، وللضلال أَلْف مذهب، وألف منهج؛ لذلك لو نظرتَ إلى أهل الضلال لوجدتَ لهم في ضلالهم مذاهب، ولكل واحد منهم هواه الخاص في الضلال. فعليك أنْ تقرأ هذه الآية بوعي و مُل وفَهْم لمراد المتكلّم سبحانه، فلو قرأها غافل لَقال: فمن تجد له أولياء من دونه، ولأتبع الثانية الأولى".([85])

تحليل ومناقشة

حاصل كلام الشيخ الشعراوي–رحمه – وهذا ما نجده في قوله تعالى أثناء تعبيره عن الإسلام والكفر بقوله كتاب آنزلنا إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بحيث عبّر لظلمات للدلالة عن الضلال والكفر؛لأن طرق الكفر كثيرة وحينما عبّر عن الإسلام والتوحيد عبّر بكلمة "نور"؛لأن طريق الإسلام واحد. وقد اتفق الشيخ الشعراوي في هذا الوجه مع الإمام أبوحيان ونقل قول الزمخشري([86])

وقد أورد العلماء أوجها أخرى ومن ذلك يقول أبوالسعود:"ضمير الجماعة اعتبارا لمعنى من غب ما أوثر في مقابله الإفراد نظرا إلى لفظها تلويحا بوحدة طريق الحق وقلة سالكيه وتعدد سبل الضلال وكثرة الضلال".([87]) يقول الشوكاني–رحمه –"وقوله: فهو المهتد حملا على لفظ من، وقوله: "فلن تجد لهم حملا على المعنى".([88])

الموضع السادس عشر

قوله تعالى:{فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ}([89]).

يقول الشيخ الشعراوي: "وهكذا جاء الضمير مرة جمعاً، ومرة مفرداً، ليكون كل لفظ في القرآن جاذ ً لمعناه.

وحين أراد المفسرون أن يوضحوا معنى (ذرية) قالوا: إن المقصود بها امرأة فرعون (آسية) ، وخازن فرعون، وامرأة الخازن، وماشطة فرعون، ومَنْ آمن مِنْ قوم موسى عليه السلام وكتم إيمانه.

كل هؤلاء منعتهم خشية عذاب فرعون من إعلان الإيمان برسالة موسى؛ لأن فرعون كان جَبَّاراً في الأرض، مدّعياً للألوهية، وإذا ما رأى فرعون إنسا ً يخدش ادعاءه للألوهية؛ فلا بد أن يبطش به بطشة فاتكة.

لذلك كانوا على خوف من هذا البطش، فقد سبق وأن ذبح فرعون بواسطة ز نيته أبناء بني إسرائيل واستحيا نساؤهم، وهم خافوا من هولاء الز نية الذي نفَّذوا ما أراده فرعون.

ولذلك جاء الضمير مرة تعبيراً عن الجمع في قوله سبحانه وتعالى:{وَمَلَئِهِمْ}([90]).

وجاء الضمير مفرداً معبراً عن فرعون الآمر في قوله سبحانه وتعالى:{أَن يَفْتِنَهُمْ}.فهم خافوا أن يفتنهم فرعون لتعذيب الذي يقوم به أعوانه".([91])

تحليل ومناقشة

حاصل كلام الشيخ الشعراوي أن الاختلاف جاء لأجل السياق والمقام.استعملت صيغة الجمع؛لأن جنود فرعون كثير الإفراد وجاء لصيغة ؛لأن كان آمرا واحدًا.وقد أورد العلماء أوجها أخرى ومن ذلك يقول الأنصاري –رحمه –"قوله تعالى:(فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه على خوف من فرعون وملئهم أن يفتنهم. .) قاله هنا بضمير الجمع لعوده إلى الذرية، أو القوم، لتقدمهما عليه، بخلاف بقية الآ ت، فإنه بضمير المفرد، لعوده إلى فرعون".([92])

ويقول الزمخشري–رحمه –"يرجع الضمير في قوله:{وَمَلَئِهِمْ}إلى فرعون، بمعنى آل فرعون، كما يقال:ربيعة ومضر.أو لأنه ذو أصحاب تمرون له.ويجوز أن يرجع إلى الذرية ، أي على خوف من فرعون وخوف من أشراف بني إسرائيل؛لأنهم كانوا يمنعون أعقابهم خوفاً من فرعون عليهم وعلى أنفسهم.ويدلّ عليه قوله:{أَن يَفْتِنَهُمْ} أي يريد أن يعذبهم {وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الأَرْضِ، وفي الكبر والعتوّ دعائه الربوبية".([93])

الموضع السابع عشر

قوله تعالى: {ا ـَّـيَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِـتُرْجَعُونَ}([94]).

يقول الشيخ الشعراوي: "نلحظ أن الكلام هنا عن الخَلْق { ـيَبْدَأُ الخلق ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ ... } لكن انتقل السياق من المفرد إلى الجمع {ثُمَّ إِلَيْهِـتُرْجَعُونَ}ولم يقل يرجع أي: الخلْق، فلماذا؟ قالوا: لأن الناس جميعاً لا يختلفون في بَدْء الخلق ولا في إعادته، لكن يختلفون في الرجوع إلى ، فهذا مؤمن، وهذا كافر، هذا طائع، وهذا عاصٍ، وهذا بين بين، ففي حال الرجوع إلى ستفترق هذه الوحدة إلى طريقين: طريق للسعداء، وطريق للأشقياء، لذلك لزم صيغة الإفراد في البَدْء وفي الإعادة، وانتقل إلى الجمع في الرجوع إلى لاختلافهم في الرجوع".([95])

تحليل ومناقشة

بين الشيخ الشعراوي أن إفراد الخلق عتبار أن أمر البدء والإعادة لا يختلف عليه أحد بينما الرجوع هناك المؤمن والكافر مجمع الضمير.وقد أورد العلماء أوجها أخرى ومن ذلك يقول ابن عاشور–رحمه –" ثم إليه ترجعون تبييناً لحال المشركين في وقت ذلك الإرجاع كأنه قيل: ثم إليه ترجعون ويومئذ يُبلس المجرمون".([96])ويقول الشوكاني–رحمه –"وأفرد الضمير في: {يعيده} عتبار لفظ الخلق،وجمعه في:{ترجعون } عتبار معناه".([97])

الموضع الثامن عشر

قوله تعالى: {وَا ـَّ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَاـتَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}([98]).

يقول الشيخ الشعراوي: "ونلاحظ في الآية إفراد السمع، وجمع الأبصار والأفئدة:{وَجَعَلَ لَكُمُ السمع والأبصار والأفئدة ... }([99]).فلماذا لم ْتِ السمع جَمْعاً؟ المتحدث هنا هو الحق سبحانه؛ لذلك تي الألفاظ دقيقة معجزة. . ولننظر لماذا السمع هنا مفرد؟ـفَرْق بين السمع وغيره من الحواس، فحين يوجد صوت في هذا المكان يسمعه الجميع، فليس في الأذن ما يمنع السمع، وليس عليها قفل نقفله إذا أرد ألاَّ نسمع، فكأن السمع واحد عند الجميع، أما المرئي فمختلف؛ لأننا لا ننظر جميعاً إلى شيء واحد. . بل المرائي عند مختلفة فهذا ينظر للسقف، وهذا ينظر للأعمدة. . إلى آخره.

إذن: المرائي لدينا مختلفة. .كما أن للعين قفلاً طبيعياً يمكن إسْداله على العين فلا ترى، فكأن الأبصار لدينا مختلفة متعددة.

وكذلك الحال في الأفئدة، جاءت جَمْعاً؛ لأنها متعددة مختلفة، فواحد يَعِي ويُدرك، وآخر لا يعي ولا يدرك، وقد يعي واحد أكثر من الآخر.

إذن: إفراد السمع هنا آيةٌ من آ ت الدقة في التعبير القرآني المعجز؛ لأن المتكلمَ هو ربّ العزة سبحانه".([100])

وقال الشيخ الشعراوي في موضع آخر:"ومن عجائب الأداء البياني في القرآن أن كلمة أسماع يقابلها أبصار، لكن المذكور هنا: {السمع والأبصار. .}([101]) فالسمع مفرد، والأبصار جمع، فلماذا أفرد السمع وجمع البصر؟

قالوا: لأن الأذن ليس لها غطاء يحجب عنها الأصوات، كما أن للعين غطاءً يُسْدل عليه ويمنع عنها المرئيات، فإن فهو سمع واحد لي ولك وللجميع، الكل يسمع صو ً واحداً، أما المرئيات فمتعددة، فما تراه أنت قد لا أراه أ . ولم ْتِ البصر مفرداً – في هذا السياق – إلا في موضع واحد هو قوله تعالى: {إِنَّ السمع والبصر والفؤاد كُلُّ أولئك كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً}([102]) ذلك لأن الآية تتكلم عن المسئولية، والمسئولية واحدة ذاتية لا تتعدى، فلا بُدَّ أنْ يكون واحداً.

ومن المناسب أن يذكر الحق سبحانه السمع والأبصار والأفئدة بعد الحديث عن مسألة الخَلْق؛ لأن الإنسان يُولَد من بطن أمه لا يعلم شيئاً، وبهذه الأعضاء والحواس يتعلّم ويكتسب المعلومات والخبرات كما قال سبحانه: {و أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ السمع والأبصار والأفئدة لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}".([103])

تحليل ومناقشة

حاصل كلام نفهم من كلام الشيخ الشعراوي أن طبيعة السمع واحدة عند الجميع وتستعمل بشكل متساو بخلاف الأبصار والأفئدة حيث تتعدد المرائى وتعلق الأفئدة و لتالى جاء الإفراد للسمع والجمع للأبصار والأفئدة.

وقد أورد العلماء أوجها أخرى ومن ذلك يقول ابن عاشور-رحمه -"والسمع مصدر دالّ على الجنس فكان في قوة الجمع ، فعمّ ضافته إلى ضمير المخاطبين ولا حاجة إلى جمعه .

والأبصار جمع بصر،وهو في اللغة العين على التحقيق.وقيل:يطلق البصر على حاسّة الإبصار ولذلك جمع ليعمّ لإضافة جميع أبصار المخاطبين،ولعلّ إفراد السمع وجمْع الأبصار جرى على ما يقتضيه تمام الفصاحة من خفَّة أحد اللفظين مُفْرداً والآخر مجموعاً عند اقترانهما،فإنّ في انتظام الحروف والحركات والسكنات في تنقُّل اللسان سِرّاً عجيباً من فصاحة كلام القرآن المعبّر عنها لنَّظم.وكذلك نرى مواقعها في القرآن قال تعالى:{وجعلنا لهم سمعاً وإبصاراً وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء}([104])".([105])ووافقه الشوكاني-رحمه -([106])

ويقول الزركشي-رحمه -"إفراد السمع وجمع البصر كقوله تعالى:{خَتَمَ اللَّهُ عَلى قُلُوبِهِمْ وَعَلى سَمْعِهِمْ وَعَلى أَبْصارِهِمْ }[107]؛لأن السمع غلب عليه المصدرية فأفرد بخلاف البصر فإنه اشتهر في الجارحة وإذا أردت المصدر قلت أبصر إبصارا ولهذا لما استعمل الحاسة جمعه بقوله:{يَجْعَلُونَ أَصابِعَهُمْ فِي آذانِهِمْ}([108])وقال:{وَفِي آذانِنا وَقْرٌ}([109])

وقيل: في الكلام حذف مضاف أي على حواس سمعهم.

وقيل: لأن متعلق السمع الأصوات وهي حقيقة واحدة ومتعلق البصر الألوان والأكوان وهي حقائق مختلفة فأشار في كل منهما إلى متعلقه.

ويحتمل أن يكون البصر الذي هو نور العين معنى يتعدد بتعدد المقلتين ولا كذلك السمع فإنه معنى واحد ولهذا إذا غطيت إحدى العينين ينتقل نورها إلى الأخرى بخلاف السمع فإنه ينقص بنقصان أحدهما".([110])

الموضع العشرون

قوله تعالى:{فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ}([111]).

يقول الشيخ الشعراوي: "{فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لي} وكلمة عدو جاءت مفردة مع أنها مسبوقة بضمير جمع وتعود على جمع {فَإِنَّهُمْ} ومع ذلك لم يقل: أعداء لي. قالوا: لأن العداوة في أمر الدين واحدة على خلاف العداوة في أمر الدنيا؛ لأنها متعددة الأسباب، كما جاء في قوله تعالى:{واذكروا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ}([112]). فجاءت:

{أَعْدَآءً}هنا جمع؛ لأنها تعود على عداوة الدنيا، وهي متعددة الأسباب، أمّا العداوة في الدين فواحدة على قلب رجل واحد".([113])

تحليل ومناقشة

حاصل بين الشيخ الشعراوي أن سر إفراد عدو في آية الشعراء لأنها تتعلق بعداوة الدين وهى واحدة أما الآية الأخرى فقد جاءت في عداوة الدنيا وهى لها أسباب متعددة ولذلك جُمعت.

الخاتمة و فيها النتائج:

توصل الباحثان من خلال البحث إلى نتائج أهمها الآتي:

- الإفراد والجمع في التشابه اللفظي أكثر ما ورد في القرآن الكريم.
- وقد سبق للخطيب الخطيب الأسكافي أن فضل في شرح سبب الإفراد والجمع التشابه اللفظي، و"درة النزيل"من أقدم الكتب التي وجهت سبب الإفراد والجمع التشابه بين الألفاظ.
- ووافق ابن الزبير لإسكافي في كثير من مسائل التعليل.
- اهتم الشيخ الشعراوي براز أسرار التشابه اللفظي في القرآن الكريم المتعلقة لإفراد والجمع،وهذا واضح في كم المواضع المذكورة داخل المقال والتى وصل عددها إلى عشرون(20)

-اعتمد الشيخ الشعراوي على العديد من الأمور التى تساعده في بيان سر التشابه اللفظي ومن ذلك: السياق وقواعد اللغة والفروق الدقيقة بين المعاني وغيرها.

استفاد الشيخ الشعراوي من كلام العلماء الذين سبقوه في إبراز أسرار التشابه اللفظي كالإسكافي وابن الزبير وغيرهم من المفسرين .

- تفرد الشيخ الشعراوي بذكر العديد من أسرار التشابه اللفظي التى لم يسبق إليها.
- يتميز أسلوب الشيخ الشعراوي في إبراز أسرار التشابه اللفظي نه أسلوب وسط سهل غير معقد حيث يعتمد اللغة البسيطة التى تفهمها العامى والعالم.

المصادر والمراجع

[1] – دقادوس: بلدة صغيرة في نواحي مصر تقع على نهر النيل شرقا فرع دمياط وهي من القرى القديمة، واسمها في العصر الفرعوني"أتوكاتوس" وفي العصر القبطي " كادوس" والعربي"تقدوس" اشتهرت قديما

بصناعة تجليد الكتب وصناعة الحصير الريفي، وتشهر إحدى عائلاتها بتحبير كسور العظام.ينظر:معجم البلدان، لياقوت الحموي،دارالفكر،بيروت،دت، ج2ص522. والشعراوي الذي لا نعرفه،سعيد أبو العينين، ط4،دار أخبار اليوم،1995م،ص11. الشفاعة والمقام المحمود، محمد متولي الشعراوي،ط2،مكتبة التراث الإسلامي،مصر،2001م،ص13.

[2] – لسان العرب فصل الفاء331/3.القاموس المحيط فصل305/1-306، ب الدال فصل الفاء ص390،أساس البلاغة كتاب الفاء مادة(فرد)337.

[3] – أساس البلاغة كتاب الجيم مادة(جمع)ص64.

[4] – الحدود النحوية،الرماني،ضمن كتاب رسائل في اللغة والنحو،تحقيق مصطفى جواد ويوسف مسكوني:39.

[5] – المصباح المنير:ج1،ص159. ليف: أحمد بن محمد بن علي الفيومي المقري دراسة وتحقيق:الناشر: المكتبة العصريةعدد المجلدات:مصدر الكتاب : موقع مكتبة المدينة الرقمية، http://www.raqamiya.org[ترقيم الكتاب موافق للمطبوع وهو مذيل لحواشي].

[6] – الصحاح، ج اللغة وصحاح العربية:ج7،ص86.المؤلف: إسماعيل بن حماد الجوهري (ت393هـ).الناشر: دار العلم للملايين- بيروت.الطبعة: الرابعة- يناير 1990.الأجزاء:6.

[7] – القاموس المحيط:ج3،ص381.المؤلف:الفيروزآ دي.

[8] – البرهان في علوم القرآن:ج1،ص112.المؤلف: أبو عبد بدر الدين محمد بن عبد بن بهادر الزركشي (المتوفى: 794هـ)،المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم،الطبعة: الأولى، 1376هـ - 1957م،الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه،(ثم صوَّرته دار المعرفة، بيروت، لبنان - وبنفس ترقيم الصفحات)،عدد الأجزاء:4.

[9] – يُنظر: متشابه القرآن، للكسائي، تحقيق: د/ محمد محمد داود، دار المنار للنشر والتوزيع، (ص40).

[10] – يُنظر: درة التنزيل وغرة التأويل، تحقيق ودراسة: مصطفى آيدين، (1/ 138)، ط1، جامعة أم القرى، مكة المكرمة.

[11] – سورة الأعراف:57.

[12] – سورة الحاقة:6.

[13] –تفسير الشعراوي – الخواطر،ص/10463ج/17،المؤلف: محمد متولي الشعراوي (المتوفى: 1418هـ) الناشر: مطابع أخبار اليوم.

[14] – البرهان في علوم القرآن: ج4،ص9.

[15] – تفسير البحر المحيط: ج1،ص641./ أسرار البيان في التعبير القرآني:10.

[16] – سورة يونس:42.

[17] – سورة الأنعام:25.

[18] – سورة يونس:42.

[19] – تفسير الشعراوي: ج10،ص5953.

[20] – درة التنزيل: ج2،ص503-506.

[21] – البرهان: ج1،ص106-107.

[22] – سورة البقرة:38.

[23] – سورة الأعراف:11.

[24] – تفسير الشعراوي، ج،1،ص،277-278 .

[25] – سورة طه:123.

[26] – سورة البقرة:38.

[27] – نفس المصدر...ج،15،ص،9434.

[28] – خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية: ج1،ص359. (رسالة دكتوراه بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى)

المؤلف:عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني (المتوفى: 1429هـ)،الناشر:مكتبة وهبة،الطبعة: الأولى، 1413هـ - 1992م

[29] – تفسير أبي السعود: ج1،ص91.

[30] – تفسير أبي السعود: ج6،ص47.

[31] – سورة طه:123.

[32] – الكشاف: ج1،ص157.

[33] – روح المعاني: ج1،ص237.

[34] – سورة العنكبوت: 24.

[35] – سورة العنكبوت: 24.

[36] – سورة العنكبوت:15.

[37] – سورة العنكبوت:15.

[38] – تفسير الشعراوي: ج18،ص11127.

[39] – التحرير والتنوير: ج20،ص222-223.

[40] – التحرير والتنوير: ج20،ص234-235.

[41] – سورة العنكبوت:15.

[42] – التفسير الكبير: ج25،ص45.

[43] – سورة المؤمنون:42.

[44] – سورة المؤمنون:31.

[45] – نفس المصدر: ج16،ص10041.

[46] – أنظر:الكشاف: ج3،ص190،187.

[47] – أنظر:تفسير أبي السعود: ج6،ص135،132.

[48] – سورة طه:12.

[49] – سورة القدر:1.

[50] – سورة الحجر:9.

[51] – سورة مريم:40.

[52] – سورة طه:14.

[53] – تفسير الشعراوي: ج15،ص9230.

[54] – سورة النساء:163.

[55] – سورة طه:14.

[56] – سورة الحجر:9.

[57] – تفسير الشعراوي: ج5،ص2816.

[58] – سورة النور:59.

[59] – سورة النور:31.

[60] – سورة النور:59.

[61] – تفسير الشعراوي: ج17،ص 10334.

[62] – سورة الحج:5.

[63] – سورة الشعراء:77.

[64] – سورة الحجر:68.

[65] – تفسير الشعراوي:ج16،ص9708.

[66] – فتح القدير:ج4،ص29.

[67] – سورة الحج:5.

[68] – مفاتيح الغيب:ج23،ص182.

[69] – سورة الروم:33.

[70] – سورة الزمر:8.

[71] – سورة يونس:12.

[72] – سورة الروم:33.

[73] – سورة العنكبوت:65.

[74] – تفسير الشعراوي:ج18،ص11428.

[75] – سورة الانشقاق:76

[76] – سورة الدهر:1.

[77] – سورة المؤمنون:12.

[78] – سورة ق:16.

[79] – تفسير الكبير:ج17،ص42.

[80] – سورة الإسراء:97.

[81] – سورة الإسراء:97.

[82] – رواه البغوي في " شرح السنة " (1 / 212) (رقم: 104) ، وابن أبي عاصم في "السنة" (15) ، والخطيب في " ريخ بغداد" (4 / 369) من طريق هشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن عطية بن أوس عن عبد ا ّ بن عمرو بن العاص.

قال الخطيب التبريزي في "مشكاة المصابيح" (1 / 59) : قال النووي في "أربعينه": صحيح رويناه في كتاب الحجة سناد صحيح.

وضعفه الإمام ابن رجب الحنبلي في "جامع العلوم والحِكم" (2 / 393) بعدة عِلل.

[83] – سورة الإسراء:97.

[84] – سورة الأنعام:153.

[85] – تفسير الشعراوي: ج14،ص8757-8759.

[86] – البحر المحيط في التفسير: ج7،ص115.

[87] – تفسير أبي السعود: ج5،ص196.

[88] – فتح القدير: ج3،ص309.

[89] – سورة يونس:83.

[90] – سورة يونس:83.

[91] – تفسير الشعراوي : ج10،ص6150-6151.

[92] – فتح الرحمن: ج1،ص252.

[93] – الكشاف: ج2،ص346.

[94] – سورة الروم:11.

[95] – تفسير الشعراوي: ج18،ص11331-11332.

[96] – التحرير والتنوير: ج21،ص62.

[97] – فتح القدير: ج5،ص462.

[98] – سورة النحل:78.

[99] – سورة النحل:78.

[100] – تفسير الشعراوي: ج13،ص8114-8115.

[101] – سورة السجدة:9.

[102] – سورة الإسراء:36.

[103] – نفس المصدر: ج19،ص11809.

[104] – سورة الأنعام:26.

[105] – التحرير والتنوير: ج7،ص234.

[106] – فتح القدير: ج4،ص248.

[107] – سورة البقرة:7

[108] – سورة البقرة:19

[109] – سورة فصلت:5

[110] – البرهان في علوم القرآن:ج4،ص19.

[111] – سورة الشعراء:77.

[112] – سورة آل عمران:103.

[113] – تفسير الشعراوي:ج17،ص10592.